

الكرامة الإنسانية في مواجهة تحديات التقنيات المتقاربة NBIC

Human Dignity in The Face of The challenges of Converging Technology (NBIC)

إبراهيم سالم عليمة

جامعة قسنطينة2-عبد الحميد مهري (الجزائر)، alima.brahimsalem@univ-constantine2.dz

مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة

تاريخ النشر: 2024/07/31

تاريخ القبول: 2023/07/18

تاريخ الاستلام: 2023/02/13

ملخص: لقد استطاعت التقنيات المتقاربة (NBIC) التي عرفتها الإنسانية المتجاوزة أن تعزز البناء العضوي والعقلي والنفسي للإنسان الجديد، عن طريق تحسين نوعية الحياة لديه، نتيجة تمكينه من تخليق الصفات التي يرغب فيها، لا سيما مع التطلعات المستقبلية التي يسعى الطب على تباين فروعها الجديدة إلى تحقيقها، والذي تعزز كثيرا بالتطورات الهائلة للتقنيات المتقاربة. تمتع الإنسان الجديد بقدرات الاعلاء والتحسين عن طريق التخليق التقني، جعلت التكنولوجيين يظهرن خوفهم من ان تعمل تلك التقنيات المتقاربة، على افناء الانسان البشري لاسيما أمام التدخل المتزايد في الجسد واستبدال أعضائه الحية بأخرى اصطناعية، الأمر الذي يجعل كرامته على المحك.

كلمات مفتاحية: الكرامة الإنسانية، التقنيات المتقاربة، التحسين، الخلود، التحديات التكنولوجية.

Abstract: The convergent technologies known to Transhumanisme have been able to enhance the organic, mental and psychological structure of the new man, by improving his quality of life, because of enabling him to create the qualities he desires, especially with the future aspirations that medicine seeks to achieve in its various new branches, which has been treaty enhanced by development of converging technologies.

The enjoyment of the new man with capabilities of parents and improvement through technical synthesis made the technologies express their fear that these converging technologies would annihilate the human person, especially in the face of the increasing interference in the body and the replacement of his living organs with artificial ones, with put his dignity at stake.

Keywords: Human dignity; convening technologies; optimization; eternity; technologies challenges.

1. مقدمة :

التمتع الجيد في مجمل الخصائص المميزة لحضارة العالم المعاصر سيكشف ستار هيكلتها التقنو علمية، لاسما بعد ان حصل التقارب بين مختلف التكنولوجيات، والتي كان هدفها الرئيس هو العمل على الاعتناء بالجسد البشري وتحسين قدراته على الأداء، بتحريه من الامراض والتشوهات والاعاقات، والتي كانت تشكل تهديدا خطيرا لنوعية الحياة لديه، فقد ظهرت تقنيات لمقاومة الشيخوخة والمرض وإصلاح أعطاب الأعضاء التالفة والانتقال بالإنسان الى تحقيق الكمال البيولوجي.

هذه الثورة التكنولوجية أدت الى قلب عدد كبير من المفاهيم والقيم فما كان يعتبر ضربا من الخيال الذي يستحيل تحقيقه، بات اليوم واحدا من الحقائق العلمية والتقنية التي لا يمكن التشكيك في مصداقيتها خاصة مع التزاوج الكبير الذي حصل بين التكنولوجيات المتقاربة، أو كما يحلو للبعض تسميتها بالفرسان الأربعة للإنسانية المتجاوزة، والتي جعلت تحسين نوعية الحياة عند الانسان الهدف الأول الذي تبغي تحقيقه.

المخاض العسير لهذه التكنولوجيات أدى الى الصدام الفكري بين التكنوفوبيين الذي أظهرها مخاوفهم من الانتشار الواسع لتلك التطبيقات التكنولوجية والتي أصبحت تهدد الكرامة الإنسانية، وبين التكنوفيلين الذين يعتبرونها الوسيلة الوحيدة التي تعزز الكرامة الإنسانية، وقد اشتد هذا السجال الفكري بين التوجهين مما أدى الى إثارة التساؤل التالي: هل ساهمت التكنولوجيات المتقاربة في تعزيز الكرامة الإنسانية أم أنها أدت الى هدرها والحط من قيمتها؟ كيف يمكن تهذيب توحش تلك التكنولوجيات في ظل تعاملها مع الجسد البشري؟.

2. ملامح التكنولوجيات المتقاربة ومفهوم الكرامة الإنسانية: قراءة في المفاهيم والدلالات

1.2 في تحديد مفهوم التكنولوجيات المتقاربة وتطوراتها العلمية:

عملية تبلور التكنولوجيات المتقاربة (NBIC) إنما تم مع التّضح التقنوعلي (techno-scientific) لفكر الإنسانية المتجاوزة (transhumanism)، حيث تحولت النظرة إلى الانسان في ظلّ تلك التكنولوجيات في اعتباره كتلة من الأعضاء المترابطة والتي تكون لها

قابلية اصلاح التالف والمعطوب، بذلك سوف نلاحظ بأنّ الانسان المعزز تكنولوجيا لا يخرج عن كونه مجرد مرحلة انتقالية من أجل الوصول إلى ما بعد الإنسان (posthuman) (1)، وبفضل تلك التكنولوجيات ستتم ولادة انسان جديد يتمتع بخصائص ومميزات جديدة منها: الذكاء الخارق، الخلوّ من الأمراض والاتجاه نحو الكمال وتحقيق الخلود والتمتع بالشباب والحيوية الدائمين.

بهذا المعنى فإنّ التكنولوجيات المتقاربة تمثل ذلك المخاض العسير الذي أنجبته ثقافة الإنسانية المتجاوزة، والتي جعلت من التحسين والتعزيز والاعلاء للقدرات البشرية العضوية والعقلية والنفسية بؤرة اهتمامها، خاصة وان الانسان في شكله الطبيعي الحالي تهدده جملة من الاخطار والنقائص منها: الإعاقة في مستوياتها المختلفة، المعاناة المرضية، الشيخوخة ومعاناة الموت هذا الأخير يمثل أكبر خطر محقق بالوجود البشري، كلّ هذا يعني ان أحلام الإنسانية وطموحاتها في تحسين قدرة الأداء البشري في مستوياته المختلفة والتي كانت بالأمس القريب ضربا من الخيال المستحيل، أصبحت اليوم حقيقة يمكن مجازة إنجازاتها علميا وتكنولوجيا نتيجة التقدم الباهر الذي حققته التكنولوجيات المتقاربة والذي ساعد كثيرا في تعزيز الكرامة الإنسانية (2).

والتكنولوجيات المتقاربة (NBIC)، إنما تشير الى: ذلك الحقل العلمي متعدد التخصصات، حيث تشير (N) إلى النانو تكنولوجي، و(B) الى البيوتكنولوجيا، و(I) الى الذكاء الاصطناعي، و(C) الى علوم الادراك أو علوم الدماغ، هو الترابط الذي يتجلى بين اللامتناهي في الصغر للتقنيات في ظل ارتباطها بتصنيع الكائنات الحية وآلات التفكير ودراسة الدماغ البشري، كلها تستهدف التحسين في القدرات وتطويرها، ويبدو ان الجميع متفقون أنّ جوهر التساؤل الحقيقي لم يعد يجري حول معرفة ما اذا كانت تلك التكنولوجيات ستعمل على تعديل الكائن الحي البشري، بشكل جذري أم لا ويتم اثبات هذه الحقيقة، ولكن لبّ التفكير

1- تشيتفريكوفا أولغا، (2020) ديكئاتورية المستنيرين (روح الإنسانية العابرة وأهدافها)، ترجمة، باسم الرّغبي، الأردن،

الآن ناشرون وموزعون، ص9.

2 - Catrine Radet, (2014-2015) ; Le Transhunisme, ethique foi et santé a l'école de Saint François, p2.

إنّما هو في العواقب والمخاطر والتجاوزات المحتملة المترتبة عن تطبيقات التكنولوجيات المتقاربة في ظل ارتباطها بالجسد البشري وبنيتة العضوية والعقلية⁽³⁾.

بالتالي فإنّ التكنولوجيات المتقاربة (NBIC) كانت محل اهتمام بين التوجهات الأمريكية والتوجهات الأوروبية، حيث يرى اتباع الاتجاه الأول ان التقارب التكنولوجي تعمل المشاريع فيه بنسبة (10%)، هي الممارسات التي سوف تغير معنى ان تكون انسانا وكلها تدخل في إطار اهتمامات الإنسانية المتجاوزة، في حين يقر اتباع الاتجاه الثاني أنها تلك التكنولوجيات سوف تعمل على النهضة بقطاع الصحة، ففي سنة (2013) استثمر أكثر من مليار يورو لمشروع (Hunian Brain)، بهدف محاكاة الدماغ البشري، وفرنسا وحدها تستقطب عددا من التكنولوجيات التي تسير في اتجاه تحقيق التفرد لذلك يعمل عدد من الأطباء على تطوير الطريقة المناسبة لتجديد الأنسجة الخلوية وإطالة عمر الانسان المتوقع⁽⁴⁾.

أول ظهور لمفهوم التكنولوجيات المتقاربة كان سنة (2002)، وبشكل رسمي في الولايات المتحدة الأمريكية تزامن ظهورها مع اعتماد بيان الإنسانية المتجاوزة (H⁺)، "وحدث هذا بعد أن أصدر الصندوق الوطني (NSF)، ووزارة التجارة الأمريكية، بناء على طلب من المجلس القومي الأمريكي للعلوم والتكنولوجيا، تعليمات لمجموعة من المشاركين في فعالياته والبالغ عددهم حوالي (50)، عالما أمريكيا لرسم الصورة الاستشرافية لمستقبل الحضارة الإنسانية"، هي العملية التي تمت تحت رئاسة كل من "ميخائيل روغو"، مدير المعهد الذي أسس قبل ذلك بفترة وجيزة، والمدير الحالي لقسم العلوم الاجتماعية والسلوكية (ويليامز سميث بينبريدج)، انتهت فعاليات هذا اللقاء سنة (2003)، ومتوجا بتقرير مؤلف من (400صفحة) يحمل عنوان: "تقارب التكنولوجيات لتعزيز الفرص البشرية"⁽⁵⁾.

الموضوعات الأساسية التي هي محور اهتمام التكنولوجيات المتقاربة يمكن التعبير عنها على النحو التالي:

-Beatrice Jousset-couturier, (2016), Le Transhumanisme, Paris, édition eyrolles, p52.

- Ibid, p53.

-5 تشيتيفريكوفا أولغا: ديكتاتورية المستنيرين (روح الإنسانية العابرة وأهدافها)، المرجع السابق، ص264.

-توسيع قدرات وإمكانات العقل البشري المعرفية،

-تحسين القدرات البدنية للإنسان وتحسين صحته، هو الأمر الذي جعل (بينبريديج) يؤكد الأهمية الكبيرة التي تمثلها التكنولوجيات المتقاربة، ومن ثمة منح الحرية التامة لنجاحات التقنية والعلم، لذلك فقد "لعب دورا رائدا في تبرير الحاجة إلى ادخال تقنيات (NBIC)، المصممة لتغيير مستقبل البشرية بشكل جذري، وزيادة الإنتاجية ومستوى الرفاه بشكل كبير، والأهم من ذلك، تغيير طريقة تفكير الناس ووعيهم الذاتي" (6).

تأخذ التكنولوجيات المتقاربة في الحسبان مفهوم التحسين وتعزيز الأداء العضوي للإنسان "مشروع التحسين يأخذ في الاعتبار أولا توسع المعرفة والتواصل البشريين، تحسين الصحة والقدرات البدنية للأفراد الآخرين والمجتمع ككل، لقد تم تصميم هذا البرنامج انطلاقا من قناعة أنّ التقارب التكنولوجي يمكن ان يحقق تحسنا كبيرا للقدرات البشرية والقضايا الاجتماعية والإنتاجية الوطنية ونوعية الحياة" (7).

يحظى مشروع التكنولوجيات المتقاربة بعناية كبيرة جدا في (الوم أ) بقطاعها العام والخاص، كونها تعمل على التخطيط لمستقبل الإنسانية على مدار(15 سنة) ، فالتقرير الذي تم نشره شهر ديسمبر سنة (2012)، والذي كان يحمل عنوان "الاتجاهات العالمية (2030م): عوالم بديلة"، ويدلّ على أنّ "التمكين البشري يعتبر أحد الاتجاهات الرئيسية في السنوات الخمسة عشر المقبلة، حيث أنّ التقنيات الجديدة تسمح بإجراء جميع أنواع التعديلات من عمليات زراعة الأعضاء والأطراف الاصطناعية الى الهياكل الخارجية التي توسع الإمكانيات البشرية الفطرية" (8).

تسعى التكنولوجيات المتقاربة التي أنجبتها منطق الإنسانية المتجاوزة إلى التغلب على الطبيعة البشرية والتحول بها الى حالة جديدة محسنة نوعيا، فهي بذلك إنما جاءت لكي تتجاوز الفهم التقليدي للإنسان، لذلك فإنّ التكنولوجيات المتقاربة قد سعى علماءها الى

6- المرجع نفسه، ص265

7 - مارينا ميستروتي، (2012)، هل التفرد التكنولوجي طريق لما بعد الانسان؟ ترجمة: م، سليم (تاريخ النشر: 24-11-

<https://www.asli.org/?-2012>

8 - تشيفيريكوفا أولغا: ديكتاتورية المستنيرين (روح الإنسانية العابرة وأهدافها)، المرجع السابق، ص267.

فهم الإمكانيات الجديدة للطبيعة البشرية، بحيث يبقى فيها الانسان محافظا على طبيعته الإنسانية، حيث أكد (ف.م. اسفندياري) على: "أهمية تحسين الجسد البشري انطلاقا من عمليات الزراعة وعدم ممارسة الجنس، والتكاثر الاصطناعي، والشخصية الفردية الموزعة (...). توزيع وعيه وشخصيته على عدد من الهياكل البيوتكنولوجية على أنها أبرز العلامات والتي تعمل فيما بعد على إنجاب الانسان العابر"⁽⁹⁾.

على هذا الأساس فإنّ تلك التكنولوجيات تهدف الى تحقيق ما يلي:

-التعديل المستمر في البنية العضوية للجسد البشري من أجل تجديد شبابه بمقاومة ميكانيزمات خلايا الشيخوخة، وزيادة نسبة الذكاء لديه عن طريق تنمية القدرة على التحكم في آليات الذكاء الاصطناعي، إلى جانب تحسين حالته النفسية بواسطة تعاطي العقاقير الصيدلانية المخصصة لهذا الغرض، حيث يعيش السعادة الدائمة، الأمر الذي يشير الى أنّ التكنولوجيات المتقاربة إنما تعمل على تخليص الانسان من المعاناة.

-اخضاع تلك التكنولوجيات للمراقبة والتحكم حتى يتسنى لنا فهم التغيرات المستقبلية وعواقبها على المدى البعيد، لذلك فقد أكد التكنولوجيين ان الانفتاح على التكنولوجيات المتقاربة والاعتماد عليها سوف يؤدي الى تعزيز الكرامة الإنسانية خاصة مع بلورة مفاهيم جديدة بديلا لمفهوم الكرامة الإنسانية على شاكلة مفهوم الاستقلال الذاتي.

-ضرورة التأطير الأخلاقي لأولئك الذين لديهم رغبة في استخدام التكنولوجيات المتقاربة لأجل زيادة النمو البدني والعقلي والتناسلي، وكل ما من شأنه أن يؤدي الى تجاوز جميع القيود البيولوجية والتي جعلت الانسان وفيها بالخضوع لها ردحا من الزمن⁽¹⁰⁾.

-معمل أيضا على تكريس مفهوم التحول الجذري للإنسان خاصة في ظل التطور الهائل لتقنيات الهندسة الوراثية وتكنولوجيات المعلوماتية والتكنولوجيات النانوية والذكاء الاصطناعي، وحسب أنصار الإنسانية المتجاوزة فإنّ هذه الوتيرة للتحول التكنولوجي سوف

يتم تحقيقها خلال (50 سنة) القادمة، وسوف يظهر التفرد التكنولوجي حيث أكد (نيك بوستروم) أنّ هدف هذه التكنولوجيات هي الحفاظ على الصحة البشرية في المستقبل⁽¹¹⁾. تعرف التكنولوجيات المتقاربة (NBIC) رواجاً واسعاً في الأماكن التي يشغلها لوبيات الإنسانية المتجاوزة (الوم أ، كوريا الجنوبية، الصين وإسرائيل)، حيث يجتمع في حضرتها " علماء الأحياء، والفيزياء والأعصاب والاقتصاد والاجتماع والادراك وخبراء الكمبيوتر وكتّاب الخيال العلمي وخبراء الاستراتيجية العسكرية والسياسية والمشرعون وغيرهم كثيرون"⁽¹²⁾. وانطلاقاً من ذلك نستطيع القول: ان التكنولوجيات المتقاربة انما تشير الى ذلك التزاوج التي حصل بين التقنيات المعاصرة التي أنجبها التقدم التقنو-علمي لأجل العمل على رفع قدرات الانسان المختلفة وفقاً لمعايير منطق الإنسانية المتجاوزة.

2.2 تحولات مفهوم الكرامة الإنسانية في عصر التقدم التكنولوجي:

يعتبر الاقدام على وضع تعريف فلسفي لمفهوم الكرامة الإنسانية من المغامرة الفكرية الصعبة، وعلّة ذلك كثافة الغموض الذي يعتري هذا المفهوم وضبابية محتوياته والتباس الأسس التي يقوم عليها، لاسيما فيما يتعلّق بامتدادات هذا المفهوم: فهي يمكن أن تنطبق على الإنسان في جميع حالاته: (من الجنين إلى الفرد الميت دماغياً وحتى الجثة)، كذلك يتصل المفهوم بالجسد البشري وبمختلف مكوناته: (الأعضاء الفيزيولوجية، الخلايا الجسمية، الامشاج والجينات، ...)، كما يمكن للمفهوم أن يصدق على بعض الأنشطة والممارسات: (علاج المرضى، الحمل، والولادة، ...) (13).

في الواقع إذا كانت فكرة الكرامة الإنسانية ثرية المحتوى، فذلك لأنّها تسمح بجمع مفاهيم متناثرة من قبيل: تقبل المرضى للعلاج، ومنع الممارسات السيئة اتجاههم، واعتماد

11- Ibid, p5.

12- تشيفيريكوفا أولغا: ديكتاتورية المستنيرين (روح الإنسانية العابرة وأهدافها)، المرجع السابق، ص 261.

-Gilbert Hottois ; (2009), La Dignité et Diversité des Hommes ; Sorbonne, Librairie philosophique. 13

J.VRIN. N.6. p.1

مبدأ عدم إرث الجسد البشري (*patrimonialité*)، وهنا ينبغي الإقرار بأنها مفهوم ضروري لمواجهة تحديّ تحديد مجالها، فتؤدي بذلك نوعاً ما إلى ضرورة احترام الأشخاص⁽¹⁴⁾.
 على هذا الأساس فالكرامة لم تعد مجرد قيمة بل هي مبدأ إنساني، يتجاوز مفهومها معنى الواجبات الذاتية، خاصة وأنها أضحت مرتبطة بالاعتراف. هذا الأخير فتح باب الحديث عن سلسلة من الحقوق الموضوعية، وهي الفكرة التي كان لها صداها الواسع لدى فلاسفة مدرسة فرانكفورت: (أكسيل هونيث....) و(يورغن هابرماس...) فقد أقدم هؤلاء على ربط الكرامة الإنسانية بمفهوم الاعتراف *La reconnaissance*، أين يتجلى ذلك الطابع اللبيريالي العلماني لمفهوم الكرامة في احترام الحرية المتساوية للجميع⁽¹⁵⁾. كل هذا يدل على ان الفرد يحمل قيمة في ذاته تحتم التعامل معه باعتباره غاية لا مجرد وسيلة لتحقيق تلك الغايات، وهذا يعني انها قيمة داخلية متأصلة في الانسان.

هذا المفهوم العقلاني للكرامة الإنسانية لم يكن محل ترحيب لدى اتباع الإنسانية المتجاوزة، لأنّ الأولوية ينبغي ان تدفعنا الى التحدث عن احترام استقلال الحريات الفردية، فمن حق أي شخص الحصول على الجسم الذي يرغب فيه، لذلك يرى (نيك بوستروم) ان المحافظين الحيويين أمثال: "يوناس، هابرماس، فوكوياما" يحتفظان بنسختين مؤلمتين تقوم على أساس حظرهما، الأولى: أي تدخل تقني على الجسد البشري واختراق مكوناته يشكل اختراقاً للكرامة الإنسانية التي يتمتع بها الشخص الإنساني، الثاني: ان البشر الذين يجري انجابههم من البشر المتفوقين، أو من ما بعد الإنسانية من شأنه ان يعرض كرامة البشر للخطر، لأنه سوف تتم معاملتهم ككائنات أدنى⁽¹⁶⁾.

على هذا الأساس يقر (يوستروم) بان علماء الإنسانية المتجاوزة يسعون الى تثقيف ورفع مستوى الطبيعة البشرية بشكل أفضل من خلال تقنيات مختلفة وأكثر كفاءة، هو الامر الذي يعني بما لا يدع مجالاً للشك تعزيز الكرامة الإنسانية وليس هدرها او الحط من قيمتها

14 -Roberto Andorno ; (2005) , La notion de dignité humaine est-elle superflue en bioéthique! revue générale de droit médicale ;n°16 ;p.97.

15 -George Leroux ; La Dignité Humaine، op. cite ; p.28.

- Gilbert Hottois, (2009), Dignité Humain et Bioéthique, Revista Colombiana de Bioética- vol04, p, 111.16

خاصة إذا كانت الغاية المرجوة من وراء ذلك هو العمل على مواجهة الامراض والعجز بالتالي تحسين نوعية الحياة مع تكريس مبدأ احترام الاستقلال الذاتي للأفراد⁽¹⁷⁾.

من هنا يمكن القول ان المفهوم الكلاسيكي للكرامة الإنسانية -باعتبارها قيمة متأصلة في الذات البشرية- لم يعد في مقدوره الصمود امام التحولات التي لحقت بمفهوم الانسان لاسيما مع تعزيز قدراته المختلفة، فقد أضحت مفهوما نسبيا له قابلية تعويضه بمفاهيم مجاورة له منها: مفهوم احترام الاستقلال الذاتي للأفراد -كما اشارت الى ذلك (ما كلين روث) -وكذلك تكريس مفهوم الحريات الشخصية لأجل الحصول على الجسم حسب الرغبة الشخصية.

2. التكنولوجيات المتقاربة ومفهوم للكرامة الانسانية:

2.1 التكنولوجيات المتقاربة لتعزيز للكرامة الانسانية:

يقدم مروجي التكنولوجيات المتقاربة رؤية استشرافية لمستقبل الانسان الجديد الذي يجري تصنيعه والذي سوف يصبح فهمه يسيرا قال (روكو وبينيريدج): "لقد أدت إنجازات العقد الماضي التكنولوجية الى تحقيق معارف استثنائية متيحة فهما أفضل لبيولوجيا الانسان، ولكن على التوقعات في مجال النانو بيولوجيا هي أكثر جذرية، حيث لم يعد الاكتفاء هنا محصورا على الاطلاق بتحقيق فهم أفضل للعمل البيولوجي للجسم بل امتد الى إرادة تحقيق بعد جديد وقدرة على التأثير على البيولوجيا البشرية، في ذات السياق يؤكد كل من (ستان ويليامز، وفيليب كويكس) من مخابر (Hewelt Packard) أنّ التكنولوجيات المتقاربة سوف "تأتي بمزيد من التقدم في حقل الدراسات المعرفية وتطبيقاتها لأنه سيتيح إمكانية معرفة عمل الدماغ، وبفضل اتحاد هذه التخصصات يمكن للعلم أن ينجح قريبا في تصميم برنامج سريع لفهم بنية عقل الانسان ووظائفه: مشروع الكونيوم **The Cognome Project**"⁽¹⁸⁾.

17 -Ibidem.

18 - مارينا ميستروتي: هل التفرد التكنولوجي طريق لما بعد الانسان؟ المرجع السابق.

تعمل التكنولوجيات المتقاربة على أحداث تغييرات جذرية في مفهوم الانسان الأدمي سواء من حيث العالم الروحي الذي كان يؤمن به (سوف يندثر يتم بناء عالم جديد وفقا لمعايير تقنية فائقة الدقة)، أو من حيث بنيتيه العضوية الجسدية، خير دليل على قدرة تلك التكنولوجيات في تعزيز قدرات الانسان والاعلاء من وظائفها هو انعقاد المؤتمر العالمي الثاني "مستقبل العالم 2045-Global future"، والذي جرت فعاليته في مدينة نيويورك (2013) مثلا صارخا. هذا المؤتمر ضم عدد من العلماء والمهندسين والأخصائيين في علوم الأعصاب، الهدف من وراء ذلك هو استخدام التكنولوجيات السبرانية من أجل الوصول إلى تخليد الإنسان، قال (ديمتري إيتسكوف): "ينبغي أن يكون الانسان متحررا من محدودية طبيعته البيولوجية ومن الموت ومن المخاطر"⁽¹⁹⁾. من هنا كان واجبا أن يجري استبدال الأجساد البشرية بحوامل غير بيولوجية توضع في رؤوسها أدمغة بشرية هي الطريقة التي تضمن تطور البشرية بالاتجاه نحو الخلود.

لقد أقدم (ديمتري إيتسكوف)؛ على وصف وصايا الانسان الجديد على النحو التالي:

- يتجاوز الانسان طبيعته البشرية ويصبح إنسانا خارقا (سوبرمان)، خالدا، فضائيا، ثم يظهر الانسان المؤله مبدع الأكوان والعوالم، الإنسان الجديد من حيث الجوهر هو محرك الألفية الثالثة، إنه يدمج بين زهد العقل والروح من جهة، وبين تطور العلم والتكنولوجيا من جهة أخرى.

- مهما كانت التكنولوجيات مهمة إلا أنه ينبغي أن يكون لها أساس يتصل بالروح والوعي، بمعنى أنّ الديانات يجب ان تقرأ من جديد من زاوية نظر جديدة تتناسب ومعطيات عصر الإنسانية المتجاوزة الخاضعة لتطبيقات التكنولوجيات المتقاربة.

- علاوة على ذلك فإنّ وطن الانسان الجديد الذي انجبتة التكنولوجيات المتقاربة ليس البلد، وليس الأرض ولا حتى المجموعة الشمسية، وطنه المجرة والكون أجمع.

19 - تشيتيفريكوفا أولغا: ديكتاتورية المستنيرين (روح الإنسانية العابرة وأهدافها)، المرجع السابق، ص 10.

-المثل العليا للإنسان والقيم التي يؤمن بها هي الحرية الكاملة لنفسه وللآخرين وللجميع، وللأفراد من محدودية الجسد، والقوانين الفيزيائية والزمان والمكان⁽²⁰⁾.

ومن ثمة فالتكنولوجيات المتقاربة سوف تسير بالإنسان إلى ما اصطلح على تسميته (راي كيرزويل) بـ/ "التفرد Singularity" والذي سوف يعتمد إلى مراجعة أفكارنا حول: "الطبيعة الإنسانية، وإعادة رسم المؤسسات الإنسانية بلغة أكثر معلوماتية، يتعلق الأمر بالانتقال من الإصدار (1.0) للكائن البشري إلى الإصدار (2.0)، والجهات الفاعلة في هذا التحول ستكون هي "الروبوتات الدقيقة -أو الروبوتات النانوية"⁽²¹⁾.

كما أنّ الاتجاه نحو خلق الإصدار (3.0) للجسد البشري سيكون في غضون مطلع (2030)، أو (2040)، حيث سيتم في هذا الإصدار المراجعة التامة للمشروع الإنساني، سوف يكون الإنسان قادراً على التحكم في تغيراته الجسدية بفضل: "أجهزة نانوتكنولوجية متداخلة مع المخ، كما ستتيح ليونة جسم الإنسان الجديد خوض تجارب جمالية وعاطفية شديدة، إذ سيتخلص الإنسان من الشكل والهوية المحددين بحيث يستطيع أن يتغير باستمرار حسب إرادته وذلك بفضل أجهزة نانوية ستكون حاضرة في البيئة، هي فوغليتات (foglets)، وهي ناتوهات قادرة على الترابط فيما بينها لتشكل مجموعة كبيرة من الهياكل التي يمكن أن تتغير بسرعة كبيرة على كثافة كافية يمكنها أن تتحكم في الصوت والضوء لتشكل صوراً وأصواتاً"⁽²²⁾.

من الأبعاد الإيجابية التي تحسب لمستقبل التكنولوجيات المتقاربة في المجال الطبي المعاصر هو ظهور العلاج بالتبريد (Cryonic)، هذا الأخير: "ينصب اهتمامه على الحفاظ على الجسم في درجة حرارة منخفضة للناس الذين لم يتمكنوا من البقاء على قيد الحياة بالطرق الطبية المعروفة مع الأمل في إمكانية إنعاش أجسادهم وإعادتها إلى الحياة مرة أخرى في المستقبل"⁽²³⁾.

20 - تشيفيريكوفا أولغا: ديكتاتورية المستنيرين (روح الإنسانية العابرة وأهدافها)، المرجع السابق، ص 14.

21- مارينا ميستروتي: هل التفرد التكنولوجي طريق لما بعد الإنسان؟ المرجع السابق.

22- المرجع نفسه.

23 - تشيفيريكوفا أولغا: ديكتاتورية المستنيرين (روح الإنسانية العابرة وأهدافها)، المرجع السابق، ص 221.

التأمل الجيد في مجموع القيم التي أنتجتها التكنولوجيات المتقاربة سيلاحظ حتما ذلك الانقلاب الجذري في تلك القيم، والتي تتماشى ومفهوم الانسان الجديد الذي جرى انجابه بين أحضان التكنولوجيات سوف يتحول مفهوم الموت حتى يصبح "عملية وليس حدثا وأنّ الموت السريري هو توقع الموت بدلا من تشخيص الموت"⁽²⁴⁾

ثم إنّ التطورات الهائلة التي مست التكنولوجيات المتقاربة والتي آمن بها اتلاع الإنسانية المتجاوزة عززت الكرامة الإنسانية ليس من الناحية الأنطولوجية فقط ولكن من الناحية الاكسيولوجية، حيث سيكون في مقدورنا القول أنّها "تضمنت إطارا متطورا من القيم والمعايير التي تؤمن باستمرارية تطور الحضارة البشرية والايمان بقدرة العلم على تجاوز وتخطي الصعوبات التي تعترض البشرية"، في ذات السياق؛ قال (ماكس مور): "عندما تسمح لنا التكنولوجيات المتقاربة بالتغلب على أنفسنا في الجوانب النفسية والجينية والعصبية، يمكننا نحن الذين أصبحنا لشرا مستقبليين أن نحول أنفسنا الى كائنات ما بعد بشرية، مخلوقات ذات قدرات جسدية وفكرية ونفسية غير مسبوقه، أفراد مبرمجين ذاتيا يحتمل ان يكونوا خالدين لا يحدهم شيء"⁽²⁵⁾.

تسعى التكنولوجيات المتقاربة الى الوصول الى حالة اللأفناء (immortalise)، خاصة عند اعتماد واحدة من التكنولوجيات السابقة:

-التكنولوجيا الحيوية (البيوتكنولوجيا): ان استخدام البيوتكنولوجيا بتقنياتها الفاعلة (الخلايا الجذعية، الاستنساخ، العلاج التبريدي، ...)، تساعد على التخلص من الخلايا التي يمكن ان تشيخ واستبدالها بأخرى أكثر شبابا وحيوية، تجعل صاحبها يعيش ديمومة الشباب

-الى جانب النانو تكنولوجي وتكنولوجيات علوم الدماغ، في هذا السياق قال (هانز مورافيك): "نظرا لأنّ الشخصية البشرية لا تعتبر إلاّ حاملا لمعلومات الجينات المشفرة في

24 - المرجع نفسه، ص 221.

3-المرجع نفسه، ص 222.

الحمض النووي والدماغ بصفته حاسوبا عصبيا فسيحققان الخلود انطلاقا من نقل ديناميكي للوعي من حامل وسائط إلى آخر " (26).

في هذا السياق تؤكد (ناتاشا فيتا مور) أنه بتطبيق التكنولوجيات المتقاربة ستم ولادة جسد جديد لمواصفات تقنية فائقة فيظهر الى الوجود "الجسد المتفرد لاعتباره جسدا متحررا ومتخلصا من القيود الطبيعية، ويرى (راي كيرزويل)، أنّ العملية نفسها هي التي حررت النشاط الجنسي من الانجاب في العالم الصناعي، عبر تامين جانبه التواصلي والحسي وسوف تمتد الى وظائف أخرى لجسد المستقبل مرتبطة بالاجتماع والمؤانسة والمتع الحسية" (27).

من الاهتمامات البارزة للتكنولوجيات المتقاربة في المجالات الطبية والتي تسعى الى تحسين نوعية الحياة لدى الكائن البشري خاصة وأنّ تلك التكنولوجيات الفائقة: "سيكون في إمكانها استبدال الأعضاء المريضة وتلقي اللقاحات الجينية للوقاية من الأمراض وإطالة الأعمار أفرادها، وتحويل حياتهم الى جنة من المتعة وتحسين سلالتهم بمساعدة التلقيح الصناعي، واكتساب الأطفال بمساعدة الأمومة البديلة والحصول على نسخ متعددة من أدمغتهم أو استنساخ أنفسهم أو تجميد أجسادهم" (28).

يجري أيضا تطبيق التكنولوجيات المتقاربة وخاصة النانوية منها في مجال العمل الطبي حيث تعمل تلك التطبيقات على "تنقية الدّم بإضافة العناصر الناقصة والفضاء على السموم ومسببات الأمراض، كما سيتم وصل روبوتات نانوية بالخلايا العصبية البيولوجية لأدمغتنا نستطيع السيطرة على حواسنا وعواطفنا وجعلنا نغمس كليا في الواقع الافتراضي" (29).

من جهة أخرى تعمل التكنولوجيات المتقاربة على تطوير العلاجات واللقاحات ضد الامراض المستعصية الى جانب توسع نطاق التشخيص والفهم الأفضل لأسباب المرض،

26- تشيتيفريكوفا أولغا: ديكتاتورية المستنيرين (روح الإنسانية العابرة وأهدافها)، المرجع السابق، ص 231.

27- مارينا ميستروتي: هل التفرد التكنولوجي طريق لما بعد الانسان؟ المرجع السابق.

28 - تشيتيفريكوفا أولغا: ديكتاتورية المستنيرين (روح الإنسانية العابرة وأهدافها)، المرجع السابق، ص 248.

29- مارينا ميستروتي: هل التفرد التكنولوجي طريق لما بعد الانسان؟ المرجع السابق.

مما يعني انها فتحت الآمال الطبية كونها تعمل على توفير العلاجات الخلوية المصممة من الخلايا الجذعية الخاصة بها وتوفير عدد من الأعضاء الاصطناعية كبديل للأعضاء البشرية التالفة، حيث يجري زراعة مواد تركيبية: بدلة الورك مغطاة بطبقة رقيقة جدا من العظام مما يتيح لخلايا العظم المريض بإذابة البدلة، وربما لأول مرة في تاريخ البشرية الطبي، أصبح في مقدور الأطباء توفير سبل الشفاء من السكتة الدماغية عن طريق الاعتماد على التكنولوجيات الدقيقة، فقد أضحي ممكنا اختراق الدماغ البشري بوضع شبكة سلكية دقيقة لا يزيد حجمها عن الشعرة الواحدة للإنسان بإعادة دعم عمل الشريان النوعي، فقد أكد (مونتوفاني) عن بداية التجارب الأولى لإبطاء حالات الزهايمر خاصة مع ظهور الطب الترميمي الذي يعمل على اصلاح وترميم الانسجة والأعضاء التالفة⁽³⁰⁾.

فالتعمن الجيد في المنجزات التي حققتها التكنولوجيات المتقاربة سواء في المجال الطبي والبيولوجي، أو في المجالات الصيدلانية، سوف يجزم حتما بأنها جاءت لأجل تعزيز الكرامة الإنسانية وتحرير الانسان وحياته من مختلف منغصات الحياة.

2.2 التكنولوجيات المتقاربة هدر للكرامة الإنسانية:

صحيح ان التكنولوجيات المتقاربة كان هدفها هو العمل على خلق انسان جديد بمميزات معدلة ومحسنة عضويا وتفسييا وعقليا، عن طريق دمج مجمل التقنيات المتطورة فيه ك: "آليات الذكاء الاصطناعي والهندسة الوراثية والاستنساخ والتحكم في السلوك والاعصاب"⁽³¹⁾. لكن ذلك لا يعني غض الطرف عن تلك التهديدات التكنولوجية والتي صارت تشكل خطرا على وجود الانسان بمفهومه الأدمي هي الفكرة التي عبّر عنها (فرانسيس فوكوياما)، في كتابه "نهاية التاريخ عواقب الثورة البيوتكنولوجية" حينما اعتبرها نوع من الشر القادم كونها تعمل على انهاء البشرية خاصة إذا أخذنا في الحسبان أن هذه التكنولوجيات لا يوجد لها أية ضمانات انها سوف تستعمل بأخلاقية.

- Catrine Radet, Le Transhumanisme, op, cite, p8.

30

إبراهيم عبد الله الرمّاح، (2019)، الإنسانية المستحيلة، الرياض، مركز دلائل، ص128.

من أبرز المخاطر التي ترتبت عن منطلق التكنولوجيات المتقاربة والتي تمس بطريقة أو بأخرى كرامة الانسان هي إزالة الحدود البيولوجية "ليس فقط بين الفئات ذكر/أنثى، أسود/أبيض، بشري/حيواني، ميت/حي، ضمن كل واحدة منهم يصبح الانسان ضمن شبكات التحكم والسلع العالمية التي اتخذت الحياة هدفا رئيسيا لها ومن ثمة فالشكل العام للإنسان في ورطة"⁽³²⁾.

على هذا الأساس فقد صارت التكنولوجيات المتقاربة تشكل اغتصابا للكيان البشري، الامر الذي جعلها محل انتقاد لكثير من البيوايטיقيين حيث نجد (أنسيل بيرسون) "في نقده لخطاب الحيوية البيولوجية التكنولوجية يحذر من الخيال الخبيث لفكرة التطور المعاد تطبيعها بوساطة الرأسمالية التكنولوجية الحيوية المتقدمة"⁽³³⁾، هذا النوع من الممارسة التقنو-علمية انجر عنه ما يمكن تسميته بالقرصنة البيولوجية القائمة في جوهرها على الاستغلال المتوحش للجسد البشري.

هو الأمر الذي ترتب عنه بلورة عدد من المفاهيم ذات الصيغة المجردة وقياسها بمعطيات مادية بحتة منها ظهور (مفهوم التنازل على الحق في الحياة)، حيث يجري الحديث عن انشاء "سوق لحقوق إضافية في الحياة، حيث يتمكن كل شخص من بيع حقه إذا كان مريضا للغاية أو فقيرا جدا، سيبدأ الناس يوما ما في بيع حقوقهم في الحياة"⁽³⁴⁾، لصالح من هم أولى باستحقاق الحياة من أصحاب النفوذ المالي والتكنولوجي، مما يظهر معه بشكل جليّ الاغتصاب الصارخ لكرامة الانسان وسلبه حقه بالحياة بصرف النظر عن نوعية تلك الحياة.

من جهة أخرى فإنّ التكنولوجيات المتقاربة إنما تعكس ثقافة البقاء إنما تكون للأقوى، لكن هذه المرة ليس بمنطق الداروينية الذي يؤكّد بأنّ الأقوى إنما يكون طبيعياً، لأنّ

32- روزي بيريدوتي، (2012)، ما بعد الانسان، ترجمة: حنان عبد المحسن مظفر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ص78.

33- المرجع نفسه، ص79.

34- تشييفريكوفا أولغا: ديكتاتورية المستنيرين (روح الإنسانية العابرة وأهدافها)، المرجع السابق، ص251

في حالة الإنسانية المتجاوزة التي تتبنى التكنولوجيات المتقاربة الأقوى إنما هو من يتحكم في التكنولوجيات الفائقة ويمتلك رؤوس أموال ضخمة⁽³⁵⁾.

هذا الهم الأخلاقي كان قد أشار إليه (بيل ماكين) في كتابه: "البقاء إنسانا في عصر مهندس"، فقد رأى بأنّ الإنسانية المتجاوزة بتكنولوجياتها المتقاربة تشكّل تعديا على الأخلاقية وعدم احترام العيش بكرامة، خاصة وأنها عمدت الى اعدام الوجود الإنساني باعتباره كينونة مسلوب الحرية والكرامة، وهذا الامر ان دلّ على شيء فإنما يدل على ان التكنولوجيات المتقاربة صارت تسير في الاتجاه المعاكس لهضة الانسان، فعجلت بذلك بنهايته، حيث نجد في كتاب (انتحار الغرب)، للمؤلفان "ريتشارد كوك وكريس سميث" أن المجتمعات الغربية قد افترسها الاكتئاب وثقافة الاستهلاك والاختلاف والتشظي واتباع الشهوات، فمعظم الآلام الانسانية اليوم هي بسبب الفائض في الإمكانيات لا في الموانع كما كان في الماضي⁽³⁶⁾.

زيادة على أنّ اعتماد التكنولوجيات المتقاربة في مجال الصحة سيؤدي الى خلق مجتمع ثنائي الطبقة، خاصة أنّ التقرير قد ذكر بشكل واضح للعيان: "إنّ التكلفة العالية لتكنولوجيا توسيع القدرات البشرية تعني أنها ربما ستكون في غضون (15-20)، سنة متاحة فقط لأولئك الذين يستطيعون دفع ثمنها⁽³⁷⁾.

هي النتائج الكارثية لتلك التطبيقات التكنولوجية التي حتمت على البيواييين على تباين شرائحهم خوض غمار البحث في طبيعة التهديد الذي تشكله، والتي سوف تدفع بالإنسان الى الانتحار بدلا من تحسينه، فهي هو (باتريك بوكانن) في كتابه "موت الغرب" قد نبه إلى "أنّ الموت الذي يلوح في أفق الغرب هو في الواقع موتان: موت أخلاقي، بفعل الثورة الثقافية التي قلبت القيم التربوية والأسرية والأخلاقية التقليدية، وموت ديموغرافي/بيولوجي يظهر بوضوح في السجلات الحكومية التي تشير الى اضمحلال القوى البشرية في الغرب

35- تشيفيريكوفا أولغا: ديكتاتورية المستنيرين (روح الإنسانية العابرة وأهدافها)، المرجع السابق، ص 252.

36 - إبراهيم عبد الله الرّماح: الإنسانية المستحيلة، المرجع السابق، ص 129

37 - تشيفيريكوفا أولغا: ديكتاتورية المستنيرين (روح الإنسانية العابرة وأهدافها)، المرجع السابق، ص 267.

وإصابة ما تبقى منها بشيخوخة لا شفاء منها إلا بالقيام بثورة ثقافية مضادة تعيد القيم الدينية والأخلاقية الى المكان الذي شغلته خلال سنوات النمو والازدهار" (38).

من جهة أخرى فقد لاحظ التكنولوجيون أن التزاوج الخطير الذي حصل بين التكنولوجيات المتقاربة سوف تجعل الكرامة الإنسانية على المحك، خاصة إذا أخذنا في الحسبان أنّ ممارستها تجري على الجسد البشري وكيفية تطيبه في جانبه الداخلي والخارجي بحيث تصبح العضوية البشرية مجرد سلعة خاضعة "لقوى السوق التي تتاجر بالحياة نفسها وبكل أريحية (...). تسليع الحياة من قبل الرأسمالية الوراثية الحيوية المتقدمة في مسألة معقدة" (39).

تسليع الجسد البشري سوف يترتب عنه القضاء على كل القيم التي كان يؤمن بها الانسان وعلى رأسها قيم الكرامة الإنسانية وما يرتبط بها من مفاهيم مجاورة ، فنحن اليوم نتحدث عما يسميه -اتباع الإنسانية المتجاوزة- بمرحلة التنقيب عن الحياة وفقا لمعايير اقتصادية بحتة، فقد أصبحت "بنوك البيانات الخاصة بالمعلومات الوراثية الحيوية والعصبية والإعلامية عن الافراد رأس المال الحقيقي اليوم (...).يشمل التنقيب عن البيانات ممارسات التنميط التي تحدد الأنواع أو الخصائص المختلفة وتسيطر الضوء عليها كأهداف استراتيجية خاصة لاستثمارات رأس المال" (40).

كل المؤشرات -اذن- تبين بما لا يدع مجالاً للشك ان التكنولوجيات المتقاربة ونتيجة تدخلاتها المتزايدة على الانسان الادمي وبشكل واسع دون الخضوع لأية رقابة أخلاقية أو قانونية، سوف ينجم عنها افناء الانسان الادمي وبشكل واسع دون الخضوع لأية رقابة أخلاقية أو قانونية، سوف ينجم عنها افناء الانسان الادمي وبشكل واسع دون الخضوع لأية رقابة أخلاقية أو قانونية، وهو الاصطناعي الذي يجري انجابه بين أحضان المخابر تحت تأثير التكنولوجيات المتقاربة، وهو ما سيترتب معه هدر الكرامة الإنسانية، بل لا مجال للحديث عن وجود هكذا مفهوم خاصة

38 - إبراهيم عبد الله الرّماح: الإنسانية المستحيلة، المرجع السابق، ص130.

39-روزي بيريدوتي: ما بعد الانسان، المرجع السابق، ص74،75.

40- المرجع نفسه، ص76.

مع تنامي التطورات الهائلة للتكنولوجيات المتقاربة، فالكرامة الإنسانية أصبحت في مواجهة كبيرة مع رهانات تلك التقنيات فائقة الدقة.

3- خاتمة:

على ضوء ما سبق ذكره يمكن القول: ان التطورات الهائلة التي حفلت بها الإنسانية مع بدايات القرن الماضي، كان لها الأثر الواضح في بلورة معالم التقارب بين مختلف فروع التكنولوجيا، فقد ساعدت التكنولوجيات المتقاربة التي جاءت مع ثقافة الإنسانية المتجاوزة على تحقيق أحلام الإنسانية وطموحاتها في جعل كل شيء في الوجود قابل للتحكم والسيطرة بما هو أخض الموضوعات الطبيعية لعل من أبرزها مفهوم الموت، والذي كان حتمية تسري على كل الكائنات لكنه مع منطلق التكنولوجيات المتقاربة صار مجرد حدث له قابلية التمديد أو التقصير.

هذا ان دلّ على شيء فإنّما يدل على ان التكنولوجيات المتقاربة سيف دو حدين فهي من جهة عملت على تحسين نوعية الحياة البشرية عن طريق مقاومة الامراض والاطار، الامر الذي ينجم عنه تعزيز الكرامة الإنسانية واحترام القيم المجاورة لها، لكنها في المقابل يمكن ان تصبح أداة تهديد تهدر الكرامة الإنسانية خاصة مع زيادة الاطماع المتوحشة لأصحاب رؤوس الأموال الذين جعلوا كل شيء في الوجود له قابلية البيع والشراء، بما فيها الحياة البشرية، وليس أدلّ على ذلك من ظهور الأسواق السوداء لبيع الأعضاء البشرية، الى جانب تأسيس أسواق لبيع الحق في الحياة، وهذا يعني ان التكنولوجيات المتقاربة ستكون هي المسؤول الأول عن افناء الانسان على وجه الأرض.

4. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

- أولغا تشيتفيريكوفا، (2020)، ديكتاتورية المستنيرين (روح الإنسانية العابرة وأهدافها)، ترجمة، باسم الزغبي، الأردن، الآن ناشرون موزعون.
- بيروودوتي روزي، (2021)، ما بعد الانسان، ترجمة، حنان عبد المحسن مظفر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون.
- عبد الله الرماح إبراهيم، (2019)، الانسانية المستحيلة، الرياض، مركز دلائل.
- *Beatrice Jousset, (2016), Le transhumanisme, Paris, édition eyrolles.*
- *Catrine Radet, (2014-2015), Le transhumanisme, éthique fiu et santé a l'école de Saint François*
- *Gilbert Hottois, (2009), La dignité et diversité des hommes, Sorbonne, libraire philosophique VRIN.*
- *Gilbert Hottois, (2009), Dignité humain et bioéthique, Revista Colombiana de bioéthiqua.*
- *Roberto Andorno, la notion de la dignité humaine est-elle superflue en bioéthique ! revue générale de droit médicale, n°16.*

• مواقع الانترنت:

- مارينا مايسستروتي (2012)، هل التفرد التكنولوجي طريق لما بعد الإنسانية؟ ترجمة، م سليم:

<http://www.asli.org/?-2012-11-24>